على هامش الصراحة

شلون مات المرحوم؟

إحسان شمران الياسري

كان (سيد حنش) يخاف الموت كثيرا، ويتابع الاسباب التي مات الناس بها.. وصار لدية هاجس لمتابعة اخبار الموتى.. صار كثير التردد على مجالس العزاء.. فاذا قال له ابن المتوفى، ان والده مات بصعقة كهرباء، كان هذا سببا لقطع كل ما له صلة بالكهرباء وتوليدها في البيت.. والعودة الى الحياة البدائية باستخدام الفوانيس و(اللوكسات).
وما لبث أن عاد أحد مجالس العزاء، فقال له أخ المتوفى (والله مولاي اخوك المرحوم نايم بالليل ولهب الفانوس واحتركت نضيدة الفراش وما لحكنا عليه)..
فما كان من سيد حنش إلاّ ان يُخرج الفانوس من البيت.. ومن يومها لن تجد النور في بيته الى يومنا هذا. وفي مناسبة ثالثة تبين ان المرحوم وقع من السطح الى الارض.. فامتنع (ابو خضير) عن الوصول الى سطح الدار..
وفي اجابة رابعة كانت الافعى هي سبب الموت وهكذا..
ومؤخرا، كانت اجابة ذوي الفقيد (ماكو سبب مولاي.. كلشي ما چان يحسّ المرحوم.. لكن ارتجه على الحايط ومات).. يعني المرحوم اتكأ على الحائط وسلّمها لباريها..
وهنا وقف سيد حنش مذهولا ماذا يصنع مع سبب لا يمكن تجنبه.. سبب ليس فيه أفعى او كهرباء او حادث سير او سقوط من اعلى..
فقال ابو خضير بيأس: (چا شلون، نشيل الحايط حتى بعد ما نرتچي؟!)..
وإذا سحبنا قصة سيد حنش على الكثير من الامثلة والشواهد، لإحصاء الذرائع التي هيأتها العديد من المؤسسات العراقية لإقناع الناس بالأسباب، حيث يتبدّل السبب في كل مرة بابتكار جديد وبذرائع جديدة، فان بلدنا لن يخطو خطوة واحدة للوراء.. أقصد للأمام!!.

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

في ضوء ثورة الياسمين الشعبية

احذروا ثورة الفقراء والمحرومين وغضبهم !

طارق الجبوري

ما زالت أحداث ثورة الياسمين في تونس تستقطب اهتمام الكتاب والمحللين السياسيين في ارجاء العالم كافة خاصة في محيطنا العربي الذي لم يألف نجاحا شعبيا في التصدي للمستبدين من الحكام منذ فشل ثورة الزنج في البصرة ، تلك الحركة التي قادها علي بن محمد في القرن التاسع الميلادي (٨٦٩الى٨٨٣م،٢٥٥الى ٢٧٠هـ) ضد المستغلين من ملاك الاراضي الكبار، وفيها استطاع "البرقع" او "المقنع" من استقطاب بعض القبائل العربية الى جانبه لتتحد مع العناصر الزنجية الثائرة ، من اجل الحرية والعيش الكريم .

وبغض النظر عن الآراء بشأن الثورة الشعبية التونسية ومآلها الذي نتمنى ان يكون لصالح الشرائح المسحوقة واهدافها ، فان نجاحها يؤكد حقيقة سبق ان اطلقها الفيلسوف سقراط عندما(تنبأ قبل ماركس) بأن الصراع بين الاغنياء والفقراء، هو السبب الرئيس للثورات ، أي ما اصطلح عليه في ادبيات الفكر الماركسي لاحقاً (حتمية الصراع الطبقي)، ما يعني بالنتيجة ان هنالك خللاً كبيراً ، ما زال سائداً في المجتمعات كافة ، بما فيها ما يصطلح على تسميتها مجتمعات الرفاهية ، التي تتيح فسحة الحريات فيها الى غلبة سيادة مفاهيم التطور والاصلاح لإحداث التغييرات الاجتماعية كبديل عن طريق الثورة التي تؤجج اوارها مظاهر القمع والاستبداد والدكتاتورية ، وما أكثرها في مجتمعاتنا العربية التي اعتادت تسخير المبادئ لصالح الحكام وضمان بقائهم في السلطة .

وبشكل عام فقد كانت الثورة ومنذ اقدم الازمنة تعبيراً قوياً عن حالة الرفض لما هو سائد من ظلم ودعوة لتغيير جوهري في الاوضاع السياسية والاجتماعية ، واعتاد المهتمون بالشأن السياسي على التفريق بين الثورة والانقلاب على نظام الحكم، فالثورة يقوم بها الشعب بنفسه من اجل تغييرات كبيرة، في حين ان الانقلاب ابطاله رجال الحكم سابقا والذين استعيض عنهم بالعسكريين في دول ما يسمى بالعالم الثالث يهدفون من ورائه إعادة توزيع السلطة حسب .

وشهد التاريخ عبر مراحله ثورات كبرى ، بقيت رغم فشل بعضها نبراسا للمضطهدين وكانت أول ثورة في التاريخ البشري ثورة -لوكال زاكيزي - في العراق وكان من مبادئها :توزيع الثروة بشكل عادل ومضمون وإلغاء القوانين القديمة واستبدالها بقوانين جديدة كي يحصل الشعب على حقوق مدنية جديدة معترف بها من قبل السلطات . كما يعتبر اوروكا جينا أول مصلح اجتماعي، قام بأول انقلاب اجتماعي في التاريخ. كما يعتبر الكثير من المؤرخين إنها أول ثورة اجتماعية في التاريخ البشري، ومنها عرفت أو تذكر كلمة الحرية لأول مرة في التاريخ باسمها السومري.

وأوروكا جينا هو ملك لكش (لجش) (٢٣٦٣ - ٢٣٥٥) قبل الميلاد ، ويعرف (اور - انم - كينا) أي مدينة الكلمة الصادقة ، وثورة سبارتكوس في إيطاليا التي (وقعت حوالي سنة ٧٣ قبل الميلاد ضد الرومان ، إلاّ أنها فشلت بسبب عدم وجود لغة موحدة يتفاهم بها الثائرون وذلك يعود الى كونهم من شعوب مختلفة وقوميات متعددة.

وبدأت الثورة ب ٧٠ رجلا بقيادة اسبارتاكوس ، الذي أسر وبيع كعبد لأحد الرومان الذي كانت لدية مدرسة لتدريب العبيد ، لاستخدامهم مبارزين ومصارعين في حلبات خاصة تقام لاجل المتعة، فثارهو والعبيد الآخرون الذين كانوا معه، وألحقوا هزائم عديدة بالجيش الروماني إلى ان قتل في آخر معركة ، وبموته انتهت الثورة وصلب العبيد الآخرون في الساحات العامة،وعلقت روما٦٠٠٠ ثائر من أرجلهم ورؤوسهم وتراجع بذلك العبيد ، وخضعوا لنظام الرق والعبودية طوال٢٠٠٠ عام بعد ذلك ، ولم يبق من ثورة - أسبارتاكوس - إلاّ الذكرى المؤلمة والموجعة .

وقد يكون مناسباً الإشارة الى نماذج من الثوريين الذين رسموا لنا طريق الثورة منذ ذلك الحين في مجتمعنا العربي ، غير ان الكثير منا حاد عنه وحرّفه، وفي مقدمتهم الامام علي وابنه الحسين عليهما السلام و الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري عندما تحدى جبروت معاوية وانتقد استئثار الاغنياء بالاموال في الشام ، فكان ان شكاه معاوية الى الخليفة عثمان بن عفان الذي امره بالتخلي عن خطابه الاسلامي (الثوري)، وعندما رفض أمر عثمان بنفيه الى احدى قرى المدينة البعيدة (الربذة) ليموت فيها وحيداً كما وعده رسول الله (ص)، دون ان ننسى ما كان يقوم به شاعر الصعاليك عروة بن الورد من غزوات على اموال الاغنياء ليوزعها على الفقراء تعبيراً عن رفضه الاستغلال .

وتعاقبت ثورات الفقراء في التاريخ الحديث التي كان من ابرزها الثورة الفرنسية ١٧٩٨ والثورة الروسية في ١٩١٧، ليتطور معهما مفهوم العدالة وإلغاء الاستغلال وتوفير فرص عمل عادلة للجميع دون اي تمييز وتوفير التعليم وغيره .

وقد يكون مناسبا ان نستذكر بأسى جزءاً من نداء البيان الشيوعي الاول عام ١٩٤٨عندما أشار إلى ضرورة الثورة فقال (ليس لدى الطبقة العاملة ما تخسره سوى قيودها ، لكنّ أمامها عالماً لتكسبه ، يا عمال العالم اتحدوا)، ونتوقف عند مستوى التراجع الذي وصلنا إليه الآن في مجالات تحقيق العدالة الاجتماعية والكفاية ، وانحسار دور القوى والحركات القادرة فعلاً على قيادة المواطنين بالشكل الذي يعيد لها أبسط حقوقها .

إن ما حصل في تونس من اندفاع شعبي ادى الى سقوط نظام استبدادي اخر في المنطقة ، درس لنا ولغيرنا بأن إرادة المواطنين هي الاقوى ، وان الأنظمة مهما أوتيت من قوة لا تستطيع وقف الزحف الشعبي ، الذي قد يصبر لكنه لا يخنع ويرفض الهزيمة .

ورغم تقديرنا للآراء التي تطرقت الى الشارع العربي بشكل سلبي ، دون الإشارة الى الظروف التي اوصلته الى ما هو عليه من مظاهر السلبية بسبب سياسة "الترويض" إن صح التعبير التي ما رستها بعض القوى والتيارات السياسية وشخصيات معينة، فإن هذه الشعوب ومنها شعبنا العراقي قد خاضت نضالات طويلة على مر التاريخ وقدّمت تضحيات كبيرة.

وإذا كانت الظروف القاهرة التي نمر بها حالياً في العراق ، قد حملت من الاخطاء ما جعل الكثير من احلامنا معطلة ، فإن هذا لا يعني فقدان الأمل بإمكانية التغيير.. نعم أن نسب بطالة غير قابلة موجودة خاصة بين خريجي الجامعات وسوء أوضاع اقتصادية وتفاوت في الدخول وغيرها من المشاكل الكبيرة، سببها ما كان سائداً من محاصصات طائفية، قيدت إجراء الكثير من الإصلاحات وينتظر شعبنا اليوم من كتلة السياسة أن ترتفع إلى مستوى مهام المرحلة التي لن تكون الحكومة وحدها مسؤولة عنها، بل كل الأطراف السياسية ومنظمات المجتمع المدني والإعلام وغيره من المؤسسات.

ما حدث في تونس تذكير للجميع وصرخة مدوية تقول: احذروا ثورة الفقراء والمحرومين.

الحـزب الـواحـد+ السـلطة = القـمع والفـسـاد

هاتف الجنابي

الاستحواذ على السلطة

من الطبيعي أن تكون الأحداث في تونس هي المحرك والباعث الأساس لمنطلق هذه المادة التي تتوخى الوضع العربي برمته. من نافلة القول إن الديمقراطية، فكرة وممارسة، هي وليدة أنظمة لمجتمعات غير عربية ولا إسلامية. فالعرب لم يمارسوها سابقا. ارتبط الحكم العربي على مر التاريخ بالإسلام الذي لا يرى غير مفهوم الخلافة وإن الحاكم هو عبارة عن خليفة الله ورسوله على الأرض، وإذا ما تم التطرق إلى فكرة الشورى فإنها لذر الرماد في العيون لا غير، لأنها لم تطبق كما ينبغي إطلاقا! حتى أن هذا المبدأ تم التحايل عليه بعد موت الرسول محمد(ص)مباشرة. وما إن انقضى حكم الخلفاء الراشدين، حتى جاء الأمويون،فالعباسيون الذين لم يختلفوا عن بعضهم في هذا المجال، إذ اتسم حكمهم بالتوريث بغض النظر عن توفر الصفات المطلوبة شرعيا بالوريث(كان الشرع الإسلامي يقضي توفر شروط للخلافة وصفات للخليفة منها: العلم/بشؤون الدين والأحكام الشرعية/، الكفاية/قادر على حماية الحدود ومقاومة العدو، وإقامة الأحكام/، وسلامة الحواس)، ولا أعتقد بتوفر هذه الشروط في أي حاكم، حتى لو خضعنا افتراضا لمثل هذا اللون من الحكم.

كانت السلطات العربية مدعومة على طول الخط بلوبي من فقهاء المسلمين التقليديين الذين ارتبطت مصالحهم بتلك الأنظمة، لأنه كيف للمقلد أن يقف مع المجتهد والمتنور فكراً وشرعاً! ثم أين ذلك المقلد اليوم، على سبيل المثال، من نزاهة وشجاعة سلفه التابع المحدث الثقة والفقيه أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان(٦٥٤-٧٢٥م) الذي ينقل لنا عنه أبو حامد الغزالي في مؤلفه(كتاب العزلة) ما مفاده: دخل طاووس على الخليفة هشام بن عبد الملك فقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضبَ عليه وقال: لمَ لمْ تُخاطِبْني بأمير المؤمنين، فقال: لأنّ جميعَ المسلمينَ ما اتفقوا على خلافتك فخشيتُ أن أكونَ كاذبا!".

على أية حال، مثل هكذا شكل وممارسة سلطويتين وشرعيتين قد تواصلتا فاستلمهما القرنان التاسع عشر والعشرون في المنطقة العربية على وجه الخصوص. فمازال الحاكم العربي يعتبر البلاد: شعبا وأرضا وسماء ملكا له. حينما سيطر المستعمرون على البلدان العربية وسلطوا عليها من يحفظ لهم مصالحهم بعد رحيلهم الشكلي، ورغم "تبعيتهم" التي ينتقدون عليها إلا أنهم كانوا أكثر رحمة وتحضراً ممن أتوا بعدهم. بعدهم، جاءت مرحلة تسلم السلطة من قبل العسكر أو أفراد وقوى عن طريق الانقلابات والمؤامرات، وتم تدريجيا تحويل الأحزاب التي ينتمون إليها إلى

مؤسسة سياسية متسلطة وحيدة، بحيث أصبحت خانعة وخاضعة لمشيئة الفرد الواحد، والعائلة أو العشيرة الواحدة. وبهدف تلطيف سمعة الحاكم الفرد وهيمنة الحزب الواحد، تم فسح المجال صوريا لممارسة برلمانية قرقوشية، يقودونها خفية، فيجرون انتخابات تكون نتائجها محسومة سلفا لصالح الحاكم وحزبه الوحيد؟! وإلا بماذا نفسر سرّ بقاء وجوه فاشلة ممجوجة ومكروهة من قبل مواطنيهم، وجوه مسؤولة عن القمع والفساد والبطالة وتدهور الحياة المعيشية لغالبية الناس، مقرونة باحتقار المواطنين والقوانين المدنية والشرعية وحقوق الإنسان، إضافة إلى بقاء دور الرقيب البغيض بكل أشكاله؟! تقول لنا تجارب الشعوب: كل سلطة مهما كانت طبيعتها ولونها تمارس كبت الحريات تحت أية ذريعة كانت يكون مصيرها الزوال والاستهجان لا محالة.

الغريب في الأمر، أن التقدم الهائل الحاصل في العالم، علميا وثقافيا وتكنولوجيا وانفتاحا على كل ما يدعم ويعزز دور المجتمع المدني في حياة المجتمع، لم يترك أثرا في المجتمعات العربية وحكامها، بحيث ظلت العلاقات التقليدية هي المتحكمة طالما أنها تخدم الحاكم الفرد وبطانته ومشرّعه التقليدي. إذن "هناك علاقة وثيقة بين النظام الاجتماعي الأبوي والنظام السياسي الاستبدادي. يتصرف الحاكم كأب وينظر إلى المواطنين كأبناء قاصرين، فيتوجه الملوك والأمراء والرؤساء إلى الشعب بمناداتهم: يا أبناءنا المواطنين ويا أهلنا في الضفة"(حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية). نضيف أيضا: يا أبناء شعبنا العظيم، وقواتنا المسلحة الباسلة، وأحفاد صلاح الدين، ويا من وقفتم ضد العسف والطغيان، سنكون ساهرين على العدل وتطبيق القانون، وهلم جرا.

الفرد الواحد- الحزب الواحد إلى الأبد!

بادرت الأنظمة العربية لتطبيق شعار: مكافحة الإرهاب الذي رفعته الإدارة الأميركية السابقة، بصورة لافتة للنظر. فهذه الجماعات الإرهابية ولدت أساسا جراء عسف السلطات العربية وقمعها للحريات بجميع أشكالها، وتبعيتها السافرة إلى الآخر الأجنبي. الغريب في الأمر هو أن هذه الجماعات الإرهابية، رغم تخلفها وهمجية أساليبها وعدائها لأنظمتها، ما تزال تحظى بدعم لوجستي ومالي من قبل بعض أجهزة الأمن وفقهاء الظلام يضاهي الدعم الذي تقدمه مخابرات الأجنبي. هذه الحالة تجعل الأنظمة العربية تبدو ذات نفع مزدوج فهي ضرورية للآخر في مكافحته قوى الإرهاب، والحفاظ على مصالحه. كل حاكم عربي متسلط مدعوم بأجهزة أمنية وقمعية خلقها بنفسه، وبما أن هذا الحاكم لا يخضع للمعايير الديمقراطية المتبعة في العالم المتحضر، فإن بقاءه لفترة طويلة في الحكم. والأمثلة كثيرة على ذلك- يجعل من تلك الأجهزة أدوات سلطوية تسلطية خاضعة له ولحاشيته، وبدلاً من أن تكون مؤسسات مستقلة تابعة للدولة تستفيد منها كل تشكيلة حكومية لاحقة منبثقة عن طريق انتخابات تشريعية حرة.

إن آلية الحاكم العربي تستند إلى تحويل نفسه "الحاكم بأمر الله" وجعل الحزب الذي ينتمي إليه بمثابة مؤسسة تابعة لإرادته فتتخلق بذلك معادلة أخطبوطية أساسها الفرد المتسلط وحزبه الوحيد الحاكم وأجهزته القمعية المنتفعة. ولأنه لا توجد ضمانات لبقاء هذا الحاكم الفرد في دست الحكم، تراه يحيط نفسه عادة بثلة من أفراد عائلته وحلقة من المنتفعين - من حزبه والمؤسسات الأمنية والحكومية، وبعض أجهزة الإعلام التابعة له، كما يسعى هذا الحاكم "الجمهوري" إلى خلق تقليد جديد يستند إلى توريث الأبناء!!

على أنّ المفارقة المثيرة للسخرية هي أن يتحول هذا الحاكم الفرد بمرور الوقت إلى أداة ورمز لجماعته الذين يقومون علناً وفي السر بقيادة عملية سلب ونهب منظمة ومنتظمة، لأموال العباد والبلاد، حتى بدون استشارته أو إعلامه بذلك، محصنين أنفسهم بتجاوز القوانين والحرمات، واتباع أساليب الابتزاز والترويع بحق المطالبين بحقوقهم من أبناء الشعب، كما حصل أخيرا لتونس ولشعبها الباسل.

وعليه، فكلما طال عمر مثل هكذا سلطة في الحكم ازداد كره وبغض الناس لها، وأصبحت إمكانية الاقتصاص من الحاكم والمقربين منه وأعوانه حينما تحين الفرصة المواتية أمرا مفروغا منه. لذلك، فعقب أي تغيير للسلطة ترى مثل هؤلاء الحكام يهرعون بسرعة إلى الهرب خارج البلاد، حتى لو تعرضت بلدانهم إلى المخاطر الجسام. وإلا، فهل سمعتم بحاكم عربي قد ترك السلطة بالطرق الأصولية؟ وهل سمعتم بحاكم عربي استطاع بعد تغيير سلطته أن يبقى في بلاده ويموت في بلاده، شأنه شأن أي حاكم في العالم المتحضر؟ هل هرب هذا الحاكم بدون إراقة الدماء وبدون أن تقوم أجهزته السرية بالتخريب والتدمير بغية تشويه الخصوم، دون الاكتراث بمصير البلاد؟

لقد وصلت الأمور في السنوات الأخيرة إلى حد تنصل قسم من أسيادهم في الغرب منهم ومعاملتهم بازدراء واضح حتى في اللحظات المصيرية لهؤلاء الحكام. لقد خسر الغرب كثيرا بمواقفه المساندة لأنظمة القمع والحزب الواحد والفرد الواحد الذي يلصق بكرسيه كما لو أن هناك آلة قد لحمته بإسته إلى الأبد! إذن لم يعد الغرب بمستطاعه أن يتجاهل وإلى النهاية إرادة الشعوب العربية والشارع العربي كالسابق. كما أنه لا يستطيع تقديم الدعم المباشر والمفضوح للأنظمة العربية التقليدية المقترنة بالفساد والتشبث بالسلطة بكل الوسائل، لأن دعمه المعهود أدى إلى خلق حالة عداء مبرر للآخر الأجنبي في الأوساط الشعبية العربية التي لم تعدْ تكترث أو تخاف من مثل هذا الدعم. وإلا فكيف نفسر التفهم العلني الأميركي - الفرنسي الحليفين التقليديين للنظام التونسي ورئيسه المخلوع، وتأكيدهم على: تفهم تطلعات الشعب التونسي وكفاحه من أجل الحرية وضد القمع والفساد؟!

هل كان نظام (بن علي) فعلا أكثر قسوة وفسادا من بقية الحكام العرب التقليديين الفاسدين الخانعين القمعيين الذين يتربعون على الكراسي منذ سنوات وسنوات وبقوة الحديد والنار والسجون والرقابة وقمع الحريات الفردية والعامة، الرافعين شعارات ديماغوجية فارغة مستهلكة(من قبيل: مواجهة التحديات ومقارعة الصهيونية، ومن أجل تطلعات الجماهير في الوحدة، ومحاربة الفساد والفقر والبطالة وأعداء الإسلام) وحجج أخرى واهية ومفضوحة؟ ثم، ألم يشترك الإرهابيون المسلمون ومغتصبو السلطة العرب في خلق حالة التداعي في المنطقة، وجعل الأجانب يهاجمون ويسخرون في السر والعلن من تخلف وهمجية العرب والمسلمين؟

بعد ذلك كله، ألم نصلْ حقاً إلى حالة من الغثيان واليأس واحتقار الذات، من تكرار مشاهدة نفس الوجوه المقرفة- يومياً -لحكامنا الفاسدين؟ هل ثمة هناك حق إلهي لا نعرفه من حقوق الحاكم العربي الفرد، يوجب علينا تبجيله ومباركة ولادته وموته وهو على كرسي الحكم؟

إن مؤشرات واقع الحال ومجريات الأمور في الشارع العربي تدل على حالة جديدة من التداعي والترنح وفقدان الثقة بالنفس التي بلغها واستنفد كل مبرراتها(بما في ذلك غير الأخلاقية)نظام الحاكم الفرد وحزبه الأوحد وعائلته أو عشيرته الذين قادوا المنطقة إلى الاستبداد والخنوع والتخلف والفساد وسلب الحريات والتفريط بأموال الشعب والدولة، وجعل العرب مسخرة يتندر بها الآخرون. أقول: هذه المؤشرات تدل على ولادة جيل جديد رافض يتصفح الإنترنت ويتداول الأخبار والصور إلكترونياً وخلوياً، ويشاهد ويسمع ما يدور حوله، مدفوعا بضغط متزايد من أوضاعه المزرية ومستقبله المجهول.

لقد وصل المواطن العربي إلى حالة الطلاق التام مع حكامه الفاسدين المتشبثين بالكراسي، حالة اغتراب حقيقية عن الواقع والحاكم، وراح يثق أكثر بنتائج التغيير عن طريق الخروج إلى الشارع للتعبير عن غضبه بعدما تأكد له أن هذا الحاكم الفرد وزبانيته قد ضمنوا لأنفسهم مسبقا نتائج صناديق الاقتراع، فهل ما يجري في تونس يعتبر حالة وبائية في المنطقة العربية، أم أنها فورة لا غير؟